دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	أعلام العرب : السياسي والصحافي والجغرافي رشدي صالح ملحس
المصدر:	العرب
الناشر:	دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
المؤلف الرئيسي:	الشبيلي، عبدالرحمن
المجلد/العدد:	مج54, ع3,4
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2018
الشهر:	يونيو / شوال
الصفحات:	281 - 286
رقم MD:	907607
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	ملحس، رشدي صالح، التراجم
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/907607

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

السياسي والصحافي والجغرافي
رشدي صالح مَلحَس

د. عبدالرحمن الشبيلي(*)

يُذكر بالإعجاب، للمملكة العربية السعودية، منذ مطلع تأسيس عهدها الثالث المعاصر قبل قرن ونيّف، أن موحّدها (الملك عبدالعزيز) عالج إخراجها من عزلتها الفكرية والاجتماعية والجغرافية، باصطفاء نخبة من المستشارين السعوديّين والعرب في مختلف التخصصات، ليكونوا سنداً لتحديث الدولة، ورفْد الضعف التعليمي في الكوادر الوطنية الذين قام عليهم تأسيس الكيان.

وإذا ما استُعرضت قائمة هؤلاء المستشارين، فلا بد أن يُشار بكثير من الاهتمام للصحافي والباحث والسياسي الفلسطيني رشدي مَلحَس، الذي انضم شاباً إلى مجموعة المستشارين (١٣٤٥هـ / ١٩٢٦م) قادماً من نابلس، وعمره لم يتجاوز الثلاثين عاماً، وكان الملك عبدالعزيز قد فرغ للتوّ من ضمّ مملكة الحجاز، ويستعد لدمج الأقاليم في مملكة واحدة (١٣٥١هـ / ١٩٣٢م).

وكان مَلحَس قد سجّل في شبابه المبكّر نشاطاً سياسيًّا تَمثّل في الانضمام إلى الحركات السريّة لمقاومة الاحتلال الفرنسي، وللاحتجاج على إقامة وطن قومي

لليهود في فلسطين، وحقّق خبرةً صحافية تمثّلت في إصدار **جريدة الاستقلال العربي** الدمشقية (١٩١٨م)، وذلك منذ تخرجه في تخصّص القانون والصحافة في إسطنبول (١٩١٤م).

وقبل سنوات (١٤٣٢هـ / ٢٠١١م) صدر عن دار جداول كتاب عنوانه **رشدي ملحس من نابلس إلى الرياض**، واعتنى بتأليفه الباحث السعودي قاسم بن خلف الرويس، ويُعدُّ هذا الكتاب من أوفى ما نشر في سيرة هذه الشخصية الإعلاميّة والبحثيّة والسياسيّة قليلة الأضواء، وما تركه من أثر في أثناء إقامته الطويلة في المملكة العربيّة السعودية حتى وفاته في جدة (١٩٥٩م). وقد أتاح هذا الإصدار الشامل فرصة لإلقاء الضوء على دوره المهم في تلك الفترة من مخاض تكوين الدولة السعودية الحديثة، ووُفّق مؤلفه في اختيار موضوعه، وفي توظيف مراجعه، وهوامشه وتعليقاته في ٥٠٠ صفحة.

ترجم صاحب **مجلة المنهل** الشيخ عبدالقدّوس الأنصاري، له مبكّراً في مجلته (العدد ٤ المجلّد ٦ ربيع الثاني ١٣٦٥هـ مارس آذار ١٩٤٦م ص ١٧٣)، كما أشار إليه الشيخ حمد الجاسر في مواضع عدة من كتاباته، بكثير من الإشادة بجهوده البحثيّة، ونشر عنه كاتب هذا المقال بحثاً في **جريدة الشرق الأوسط** (العدد ١١٨٧٠ في ٢٥ / ٦ / ١٤٣٢هـ، ٢٩ مايو أيّار ٢٠١١م)، تناول فيه جوانب من سيرته، واستعرض كتابَ الباحث الرويس (المشار إليه آنفاً).

ويمكن القول إن رشدي ملحس يأتي، بين المستشارين، في المرتبة الثانية بعد فيلبي، من حيث غزارة البحث العلمي في أثناء إقامتهما في الجزيرة العربية، مع الظن بأن انصرافه نحو الدراسات الجغرافية والتاريخية لم يظهر إلا بعد وصوله إلى الديار المقدسة، فنجده يقرن بين عمله الصحافي والسياسي، مع اهتمام موسوعي بحثي وتأليفي بارز، وبتحقيق المواقع وبعض كتب التراث،

واهتمـام بالمخطوطـات، والإفادة من مكتبات مكة المكرمـة والمدينة المنورة، مما جعله على تواصـل مع العلماء والبحّاثة والأدباء السـعوديين؛ من أمثال محمد بن بليهد، صـاحب كتاب **صحيح الأخبار**، وحمد الجاسر، وعبدالقدّوس الأنصاري، ومحمد سعيد عبدالمقصود .. وغيرهم.

وقد أحسـن المؤلف الرويس صنعاً في تخصـيص جزء كبير من كتابه لتراث ملحس، والتعريف بكتبه، ونشـر كل مقالاتـه ذات الطابع البحثي التي ظهرت في مطبوعات عصـره، وبخاصـة في **مجلة المنهل** وفي الجريدة السـعودية الرسمية **أم القـرى**، التـي تولى مَلحَس رئاسـة تحريرها بعد يوسـف ياسـين، وبلغت نحو مائة بحث في مواضـيع مختلفة، حيث أراح المؤلف - بتضـمينها في ملحق كتابه- الباحثين من عناء التنقيب في تلك الإصدارات القديمة نسبيًّا.

تبدأ سـيرة رشـدي ملحس زمنيًّا من مرحلة حياته الدراسية والسياسية في إسـطنبول، ثم بدايـة تعلّقه بالصـحافة من خلال **مجلـة المنتـدى العربي** التي أسسـها أحمد عزت الأعظمي في الأسـتانة، وهي مرحلة اسـتغرقت أربع سنوات من شـبابه المبكر، ثم مرحلة انتقاله إلى الشـام لينخرط في العمل السياسـي مع انطلاقـة الثورة العربيـة وانتهاء الحكم العثماني (١٩١٦م)، ليبدأ في ممارسـة العمل الصـحافي من خلال إصدار **جريدة الاستقلال العربي** بمشاركة معروف الأرنـاؤوط (١٩١٨م)، وهـو ما أدى إلى الحكم عليه بالإعـدام، ومن ثمّ الهروب إلى فلسـطين، والنزوح إلى الحجاز بتشجيع من صـديقيه محب الدين الخطيب ويوسف ياسين، وثيقَي الصلة بالملك عبدالعزيز.

وفي أثناء إقامته في المملكة مدة ثلاثين عاماً تقريباً، بدأ نشاطه بمدة قصيرة تولّى فيها الإشراف على تحرير الجريدة الرسمية **أم القرى** خلفاً ليوسف ياسين (١٩٢٨م) ولمدة أربعة أعوام، نشـر خلالها جزءاً من أبحاثه العلمية، في وقت لم

يكن في البلاد سوى تلك الصحيفة، المخصصة أصلاً للإعلام السياسي.

وكما جذبه يوسف ياسين أحد المستشارين السياسيين، إلى تحرير أم **القرى**، فإنه قرّبه إلى العمل معه في الشعبة السياسية التي تضم في عضويتها كل المستشارين، من سعوديّين وعرب وأجانب (تأسست حوالي عام ١٣٤٩هـ / ١٩٣٠م)، تزامناً مع إنشاء وزارة الخارجية، وعلى رأسها الأمير فيصل في مكة المكرمة، فصار مَلحَس مساعداً لرئيس الشعبة السياسيّة (يوسف ياسين) ثم رئيساً لها، وفي الوقت نفسه، انضم إلى قائمة المستشارين السياسيّين.

وتستمد الشعبة أهميّتها في كونها الذراع السياسية للملك عبدالعزيز، حيث يلتقي يوميّاً مع مستشاريه، ويتبادل معهم وجهات نظرهم في الأوضاع الدوليّة، ويقومون بتحرير ما يتم التوصّل إليه، ويحفظ فيها أرشيف متكامل للمعاهدات والاتفاقيّات والمخاطبات السياسيّة.

كما أُلحق بها وحدة للرصد الإعلامي، لتتبُّع ما تذيعه الإذاعات وتبثّه وكالات الأنباء العالمية. وبرزت أهمية هذه الشعبة مع حقيقة اهتمام الملك بعملها، ومع وجود هذه النخبة المميزة من المستشارين؛ من أمثال: الأميرين عبدالله بن عبدالرحمن، وأحمد الثنيان، وخالد السديري، وإبراهيم المعمّر، وحمزة غوث، والدكتور عبدالله الدملوجي، ورشيد عالي الكيلاني، وفؤاد حمزة، وخالد القرقني، وخالد الحكيم، وحافظ وهبة، وبشير السعداوي، وذلك بالإضافة إلى يوسف ياسين ورشدي ملحس.

ولا تكتمل سيرته دون التركيز على ثقافته وأبحاثه، وهو الذي وُصف بأنه دائرة معارف متحركة:أديب وجغرافي محقق، وعالم مؤرخ، وكاتب صحافي، وباحث متتبّع، وله شغف بتاريخ الجزيرة العربية قديمها وحديثها وبجغرافيتها، وكان الرائدَ في تحقيق المواقع الجغرافيّة، فسبق بذلك بعض علمائنا، وكان من

أهم المخطوطات التي حققها: كتاب **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار** للأزرقي، وكتاب **جزيرة العرب** للأصمعي.

أما مؤلّفاته فهي ستة؛ ومنها: **سيرة الأمير محمد عبدالكريم الخطّابي**، و**أخبار مكة** للأزرقي، و**معجم منازل الوحي**، كما أجرى بحوثاً عدة؛ منها: بحث عن المعادن، وآخر عن مسافات الطرق، وعن تقويم الأوقات لعرض المملكة العربية السعودية.

وذُكر أن رشدي ملحس كان أول من وضع تقويم أم القرى، الذي يُعتمَد عليه حاليّاً إلى درجة كبيرة في تحديد أوقات الصلوات وأهِلَّة الصيام والحج. ويبدو أن له مخطوطاتٍ لم تُطبع بعد، وأنه سعى لجمع ما يُظن أنه من الشعر العامي للملك عبدالعزيز.

وكان مَلحَس - بحسب معلومة من رئيس تحرير هذه المجلّة، د.أحمد الضبيب - ينوي تحقيق كتاب **جزيرة العرب**، لكنه إما لم يفعل أو لم يكمله، فتصدّى لتحقيقه العلاَّمة حمد الجاسر والمؤرّخ العراقي المعروف الدكتور صالح أحمد العلي (المتوفّى عام ٢٠٠٢م)، وأصدراه بعنوان **بلاد العرب** من منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، والمجمع العلمي العراقي في نحو ٦٠٠ صفحة، وقد نسبه الشيخ الجاسر - الذي أشرف على طبعه - إلى لُغدة الأصفهاني، مع أن زميله في التحقيق (الدكتور العلي) يرى أنه للأصمعي.

ويُستشَفّ من معلومات سيرته أن رشدي مَلحَس لم يتزوج، وأن أبناء أخيه عبدالفتّاح هم الذين ورثوا مقتنيات مكتبته من كتب وأوراق ومخطوطات.

وهكذا يُرى من عرض هذه السيرة الموجزة أن اتجاهه نحو البحوث الجغرافية والتاريخية قد نافس مهامه الرسمية في رئاسة الشعبة السياسية، والمشاركة في

عمـل المستشـارين، حتى قال عنه فيلبـي: «لو أن الظروف كانت طبيعيّة، لفضّـل رشدي مَلحَس أن يكرّس كل حياته للأدب والدراسة».

ولا بدّ أخيراً أن يُعدّ رشـدي صالح مَلحَس من روّاد تحقيق التراث في المملكة العربية السـعودية، وأنه أول من حاول وضـع منهج لفهرسة المخطوطات العربية، وأنه لفت الأنظار إلى موضـوعات علميّة لم تكـن محل اهتمام الباحثين القدامى (كالمعـادن والمناجـم) ،كما تُسـجل لـه ريادتُه في وضـع معجم شـامل للأماكن الجغرافيّة في الحجاز ونجد، ولمسافات الطرق بينها، وفي تحقيق منازل المعلّقات في الشعر العربي، وفي أمور بحثيّة أخرى.

(*) باحث سعودي.